

* مبادئ الناول في الاستعارة

جون ر. سول
ترجمة إبراهيم فقيه

حان الوقت الآن لمحاولة تفريير المبادئ التي نولد المجازات ونفهمها وفقاً لها. وللرجوع إلى ذلك فإن السؤال الذي تحاول الجواب عليه هو في أبسط أشكاله: كيف يحصل أن يريد المتكلم القول: «س هو» بقوله استعارة: «س هو؟»، في حين أن /ب/ لا تعني في الظاهر /ر/؟ وعدها ذلك، كيف يحصل أن يفهم السامع، عند سماعه لفظ «س هو؟»، أن مكلمه يريد القول: «س هو؟» إن الجواب المختصر القليل الإيذاح يعتمد على القول بأن التصريح بـ /ب/ يعني في الذهن معنى /ر/ وما افترض به في النتيجة من بواطن الحقيقة، وفق الطرق الخاصة التي يتبع بها لفظ استعاري يُفْتَّ شيء آخر. لكن هذا الجواب يظل بلا معنى مفيدة⁽¹⁾ ما دمنا نجهل تماماً لأي مبادئ يبعث لفظ المعنى الاستعاري، وما دمنا غير جديرين بتقريير هذه المبادئ من غير اللجوء إلى الفاظ استعارية مثل «بعث». واعتقد أن الاستعارة تعمل بوجوب أكثر من مبدأ.

إن السؤال: «كيف تعمل الاستعارة؟» يشبه إلى حد السؤال: «كيف يذكّرنا شيء بآخر؟» إن أيّاً من هذه الأسئلة لا يقبل جواباً وحيداً، وإن كان الشبه يلعب بصورة ظاهرة دوراً أساسياً في الجواب. غير أن هناك سمتين بارزتين تتيحان التمييز بينها: فالاستعارات محدودة ونسقة، محدودة بمعنى أنه توجد طرق يتبع بها شيء التذكير بشيء آخر حيث لا تستطيع هي تشكيل قاعدة لاستعارة، ونسقة بمعنى أنه يجب أن تكون الاستعارات قابلة للتلاقي ما بين المتكلم والسامع بفضل نظام من المبادئ مشترك.

لتتناول المسألة من وجهة نظر السامع. فإذا وقفتنا إلى اكتشاف أي المباديء يفهم السامع عمق تصاحتها الأقوال الاستعارية تكون قد تقدمنا كثيراً في فهم ما يسمح للمتكلم بتأليف أقوال استعارية، على أن امكانية التواصل، حتى، إنما تقوم على واقع اشتراك المتكلم والسامع في مجموعة من المبادئ. لنفترض أن سائعاً سمع قوله من نوع: «صوفيا قطعة جليد» أو «ربتشارد دب لم يحسن حسه»، أو «إيف باب سجن»، فائي مراحل عليه أن يقطعها حتى يفهم المعانى الاستعارية لهذه الأقوال؟ من بين أن الجواب على هذا السؤال لا يسعه أن يصف

ملاحظة: جميع المفاسد استحدثتها المترجم

* الأصل: Expression and Meaning, John R. Searle, Cambridge University Press, 1979.

الترجمة الفرنسية: sens et expression, John r. searle, Les Editions De Minuit, Paris, 1982.

ويتناول التعريب الجزائري الآخرين من الفصل الرابع، الاستعارة La métaphore أي من ص 151 إلى 166 من النص الفرنسي.

(1) يقول ابن مالك في الفيه: كلامنا لفظ مفيدة كاستفهام.

س. يلمح الكاتب هنا إلى «المفادة odc على إناء [غربي]» لكيتس Keats ومطلعها: «إليك أية الزوجة المستعصية أيضاً على الصمت».

بدقة مراحل عملية واعية، بل عليه أولاً إعادة بناء معمولة لترسيمات استدلال تستند إليها طاقتنا على فهم أمثل هذه الاستعارات، وعدها هذا، فإن المجازات أجمع لا تكون بساطة الأمثلة التي ستعالجها؛ ولكن يفترض في الأنوذج المطروق بغية اخذ الاحوال البسيطة بين الاعتبار ان يكون اهلاً لتطبيق أكثر شمولاً.

بالنسبة لأنماط الحالات الأكثر بساطة مما تناولناه بالبحث اعتقد أن على السامع المرور في ثلاثة مراحل على الأقل. عليه أولاً أن يمتلك استراتيجية تتيح له بادئ ذي بدء أن يجد ما إذا كان عليه أو لا أن يبحث عن تأويل استعاري للقول، بعدها، بعد عزمه على البحث عن تأويل من التأويلات عليه أن يمسك بمجموعة استراتيجيات أو بادئ ذي بدء تتيح له حساب القيم الممكنة لـ /ر/؛ وعلىهأخيراً أن يمسك بمجموعة استراتيجيات أو بادئ ذي بدء تمكنه من تحديد حقل العناصر /ر/، - من أجل أن يقرر ما هي عناصر /ر/ التي يقول بها المتحدث بناء على واقية /س/ الكاملة.

للتفرض أنه سمع القول: «جان خنزير»، فإنه يعرف أن هذا معناه الحرفي لا يمكن أن يكون صحيحاً، وأن القول - إذا حاول أخذته بحرفيته - معطوب بصورة جذرية. وهذا العطب هو فعلًا ميزة مشتركة بين جميع الأمثلة التي تفحصناها حتى الان. والأعطال التي تضع السامع على الخطأ هي، بحسب الحالات، الخطأ الظاهر والاستحاللة الدلالية وخرق قواعد صنوف الكلام، أو خرق المبادئ التحاذية للتضليل. ويوجي هذا باستراتيجيا تطوري على المرحلة الأولى :

عندما يكون القول، مأخذوا بحرفيته، معطوباً ليبحث عن معنى قول مختلف عن معنى الجملة.

ليست هذه هي الاستراتيجيا الوحيدة التي يستطيع السامع مساعدتها أن يقول: يحتمل أن يكون للقول معنى استعاري. ولكنها عن بعد هي الأكثر انتشاراً. (وهي تدخل عادة في تأويل الشعر. إذا رأيت التوجه إلى شخص مرسوم على إباء إغريقي كما التوجه إلى «الزوجة - المستعصية أيضاً على الصمت» أعرف أن علي البحث عن معنى جديد) س ولكن ليس شرطاً ضرورياً للقول الاستعاري أن يكون خطاطناً بشكل أو بأخر عند تلقيه معناه الحرفي. ديرالي Disraeli استطاع أن يقول استعارة.

5. (عجز) صعدت إلى ذروة عمود كوكانية⁽²⁾ Cocagne

حتى إذا حدث فعلاً أنه صعد إلى ذروة عمود كوكانية . ويع肯 اللجوء إلى سلسلة أخرى من العلامات لتبين الأقوال الاستعارية. فمثلاً، نقف على شفا الاستعارات عندما نقرأ شيئاً من الشعر الرومنطيقي ، كما أن بعضًا من معارفنا يميلون إلى صناعة الاستعارة أكثر من بعض.

عندما يفترض سمعنا أن عليه تحصيل معنى مختلف فإنه يجهز نفسه بعدد من المبادئ التي يتمكن بفضلها من احتساب القيم المحتملة لـ /س/. وأندم في الحال قائمة بها، وإن من بينها واحداً هو التالي:

كي تخد القيم المحتملة لـ /ر/ عند سماعك «س هو ب» فتش عما يمكن لـ /س/ أن يشبه به /ب/، وهي تعرف في أي الوجوه يمكن لـ /س/ أن يُشبه /ب/، فتش عن سمات بارزة، معروفة جيداً وميزة لعناصر المجموعة /ب/.

في هذه الحال يسع السامع المعتمد على معرفته بالواقع أن يستعرض علامات مثل: الخنازير سمية، شرفة، قدرة، مقززة، الخ. هذه السلسلة المترامية من العلامات [الصفات]⁽³⁾ تؤلف القيم المحتملة لـ /ر/. ومع ذلك توجد صفات للخنازير غير هذه وهي أيضاً ميزة وشهرة، فللخنازير مثلاً شكل وفورة مميزة. ولكن يفهم السامع القول عليه إذاً أن يمر في المرحلة الثالثة [أعلاه] حيث يحصر حقول عدصر /ر/ المحتملة. ويستطيع السامع هنا اللجوء إلى استراتيجيات متباينة للوصول إلى غرضه، لكن الأكثر استعمالاً هي هذه:

عد إلى لفظ /س/ وانظر أي العناصر العديدة المرشحة لقيمة /ر/ تكون الخصائص الواقعية أو حتى المحتملة لـ /س/ .

(2) يقابل هذا الشكل الكتابة في البلاغة العربية، حيث يصح المعنى الحقيقي إلى جانب المعنى المجازي، راجع الكتابة في المثل السائر لابن الأثير (المترجم).

(3) ما بين المعقوقين من المترجم.

وهكذا، إذا قلنا للسامع، « سيارة جان خنزير»، فسيؤول هذه الاستعارة بغير ما يؤول به القول « جان خنزير». وهو يسمع الأولى يستطيع أن يفترض معناها أن سيارة جان تستهلك بزنينا كما تستهلك الخنازير من الغذاء، أو أن سيارة جان على شكل خنزير، وإن تكون الاستعارة بمعنى من المعاني هي ذاتها في الحالين إلا أن العبارة /س/ تتحدد بصورة مختلفة من حال حال. يلزم السامع أن يحرك معرفته بعناصر /س/ وعناصر /ب/ ليعرف أي قيم /ر/ المحتملة هي المرشحة المعقولة للمقصود الاستعاري.

يجد أن النقاش الذي يعارض نظريات مقارناتها يشق في جوهره من واقع هو إمكان فهمها كأجوبة على أسئلة مختلفة. وغير الاشكال لهم نظريات مقارنة للموضوعات هو بأن نرى فيها حماولة الجواب على سؤال المرحلة الثانية: «كيف يبني على حساب القيم المحتملة لـ /ر/؟» بينما الشكل الأمثل لفهم نظريات التفاعل هو بأن نرى فيها جواباً على سؤال المرحلة الثالثة: «في حال أعطى حقل القيم المحتملة لـ /ر/، فكيف تحدد العلاقة بين التعبيرين /س/ و /ب/ لهذا الحقل؟» يخاطر لي اتنا نضل السبيل بوصفنا هذه العلاقات كـ «تفاعلات»؛ ولكن يبدو صائباً الافتراض بأن على التعبير /س/ أن يلعب دوراً في استعارات التمثيل الذي يدرس. ولكن نستطيع أن نبين أن نظرية التفاعل، تسمح أيضاً بالرد على سؤال المرحلة الثانية بمعنى أن نبين أنه توجد قيم خاصة بـ /ر/ حين يكون /س/ و /ب/ معلومين، ولكن لا يمكن كذلك حين تعطى /ب/ وحدها، ويجب أن نبين أن /س/ لا تحدد حقل /ر/، لكنها تخلق في الواقع /ر/ مُحدداً. وهذا لا أعتقد أن في الامكان برهانه، لكنني سأدل لاحقاً على عدة حلول ممكنة.

لقد قلتُ توجد سلسلة من المبادئ التي تسمح بحساب /ر/ عندما تُعطى /ب/ - وهذا يعني أن سلسلة من المبادئ، يتبع لفظ /ب/ بمقتضاهما بعث معنى /ر/ بصورة خاصة بالاستعارة. لا ريب في أنها لا نعرف جميع المبادئ التي تعمل بهذا الشكل، ولكن إليك عدداً منها بعية المباشرة (وليس هي بالضرورة مستقلة عن بعضها).

المبدأ 1:

الموضوعات التي هي /ب/ هي /ر/ من حيث التعريف، فإذا عملت الاستعارة يصبح /ر/ بصورة عامة إحدى الخصائص التعريفية البارزة لـ /ب/. وهكذا:

38. (استعارة) جان عملاق.

تصير مفهومه بمعنى

38. (تأويل) جان كبير.

لأن العملاقة هي كبار من حيث التعريف. وهذه هي سماتهم الخاصة.

المبدأ 2:

الموضوعات التي هي /ب/ هي عَرَضاً /ر/. ومن جديد، إذا عملت الاستعارة فإن على الخاصة /ر/ أن تكون خاصة باردة أو مشهورة بين موضوعات /ب/.

39. (استعارة) جان خنزير.

يُعمل على معنى

39. (تأويل) جان مقرّز، شوه، مهمل، الخ.

المبدأ 1 و 2 يصلان القولين الاستعاريين بتشبيهات حرفية، « جان شبيه بعملاق»، « جان شبيه بخنزير»، الخ. بالصلة مع هذا المبدأ والمبدأ الذي يليه نلاحظ أن تغيرات طفيفة في تعبير /ب/ تغير تغيرات هامة في تعبير /ر/. اتبه إلى الفرق بين « جان خنزير» و« جان خنزوان» و« جان خنوص»⁽⁴⁾.

(4) يستعمل المترجم بالفرنسية الألفاظ: *cochon* و *pourceau* بمعنى الخنوص خنزير صغير السن. وخنزوان ذكر الخنزير. وليس في العربية الفاط مواقة للفرنسية عدا خنزير وأقل منها خنزوان وأقل منها خنوص.

المبدأ 3 :

عموماً نقول او نعتقد أن الموضوعات التي تؤلف /ب/ هي /ر/ ، حتى وإن عرف المتكلم والسامع كل من جهته ان /ر/ شبه /ب/. وهكذا :

6. (استعارة) ريتشارد دب لم يحسن حسه.

عبارة توجه بقصد القول:

6. (تأويل) ريتشارد رجل فظ، قليل المخالطة، سيء الشأة.

حتى وإن عرف المتكلم والسامع من جهتيهما أن الدبيبة اجتماعية ولست مضطّطة عند الولادة بضربيات من السنة أماتها ولكن أجيالاً من اعمال الخراقة حول الدبيبة صاحت من التداعيات ما يسمح للاستعارة بالعمل حتى وإن عرف المتكلم والسامع ان هذه الاعتقادات خاطئة.

المبدأ 4 :

الموضوعات التي تؤلف /ب/ ليست /ر/ ولا تشبه موضوعات /ر/ ، ولا هي تحمل على أنها من /ر/ ، بيد أن نياحتنا تحملنا، بحسب فرز قد يكون تقافياً او طبيعياً، على رؤية رابط بينها بحيث يرتبط /ب/ في ذهاننا بخواص من /ر/ ، وهكذا هي الحال التالية:

4. (استعارة) صوفيا قطعة جليد.

40. (استعارة) أنا ذو مزاج أسود.

41. (استعارة) ماريا عذبة.

42. (استعارة) جان مرّ.



هي جمل يسعنا التلفظ بها لنقول استعارة: إن صوفيا ليست حاسة، أنا غاضب ومحبط، ماريا لطيفة، طيبة، للذبدة، الخ. جان يعني الغيط؛ والوقت بدا (بديمومة متغيرة) بينما كنا ننتظر الطائرة، حتى وإن لم تكون هذه الاستعارات قائمة على شبه حرفي. وسنلاحظ أن التداعيات تميل إلى احترام نسب: درجات الحرارة مرتبطة بسلم الانفعالات، والسرعات المختلفة مرتبطة بالديمومة الزمنية، إلخ.

المبدأ 5 :

الموضوعات /ب/ لا تشبه موضوعات /ر/ ، ولا يعتقد أحد أنها شبهها : غير أن الحالة التي فيها واحد من /ب/ تشبه الحالة التي فيها واحد من /ر/. وهكذا يسعني القول لشخص نال ترقية هامة:

44. ها أنت برجوازي ،
راغباً أن أقول بذلك ، لا
البرجوازيين .

المدأ 6:

توجد أحوال يكون فيها لـ/ب/ و/ر/ معنian متطابقان أو متمايلان، ولكن بحيث يكون لأحدهما، لـ/ب/ **عامة**، تطبيق عصور بشكل لا يطبق حرفيًا على /س/. وهكذا، لا تستعمل حرفيًا «بائخ» (décati) إلا بخصوص الأنسجة، ولكن يمكن القول استعارة: .45 هذه المرأة **بائخة**.

46. هذا المعلم، النياب يائخ.

. ذهنہ سائنس 47

• 7 [44]

هذا لا يشكل مبدأً تميّزاً لأنّ شكل من أشكال تطبيق 1-6 على حالات بسيطة، ليست من طراز «س هو ب» ولكنها مجازات علاجية أو متجمّعة إلى أشكال نحوية [تركيبيّة] مختلفة كهذه التي ترتكز على فعل أو صفة لازمٍ. لذا خذ صفات علاجية مثل:

48 جان یلتهم کتابہ

٨. السفينة تسلم الحم

31. واشنطن: أبو هذه اللاد.

عندنا في كل حالة لفظ لمجموعتين اسميتين تحيطان باللفظ الاستعاري لتعبير متعلق⁽⁵⁾ relationnel (ويمكن لهذا أن يكون فعلًا متعدياً كما هو في 48 و8، ولكن ليس بالضرورة كما يتبين في 31). إن مهمة السابع هي العبور ليس من «س هوب» إلى «س هور»، بل من «س تعلق بـ س»⁽¹⁾ إلى «س تعلق رس»⁽²⁾، هذه المهمة الأخيرة تختلف بعض الشيء عن السابقة على صعيد الشكل: فبادئًا حول الشبه تسمح مثلاً للسامع أن يجد في الحالات الأولى خاصة مشتركة بين موضوعات /س/ و/ب/، نقل هي /ر/. ولكنه من الحالات الثانية لا يُملك أن يجد علاقة مشتركة، وبידأً من هذا عليه أن يجد علاقة /ر/ مختلفة عن العلاقة /ب/، لكنها شبيهة بها من بعض الوجوه. والمبدأ 1 مطبقاً على هذا التموزج يصبح بهذه الصيغة: العلاقات /ب/ هي بالتعريف علاقات /ر/. مثلاً، «ثم» تستبع بالنظر إلى التعريف نشاطاً يحرك مادة ما من كل جهة بوساطة جسم حاد في اثناء انتقال هذا الجسم الى الأمام، وإن يكن الشبه عن طريق التعريف ما بين العلاقة /ب/ والعلاقة /ر/ قادرًا على إمداد المتكلم باللماذا الذي يسمح باختلاص العلاقة /ر/، فإن الوجه الذي ينطوي على الشبه لا يستمد محتوى العلاقة /ر/ على الشكل الذي يستمد به الشبه مضمون التعبير /ر/ في الحالات الأكثر بساطة لـ «س هوب». في هذه الحالات الأخيرة يقوم عمل السابع على إيجاد علاقة (او خاصة) تكون شبيهة بالعلاقة او الخاصة المعتبر عنها حرفيًا في العبارة الاستعارية /ب/ أو تكون مرتبطة بها عن طريق أي صلة أخرى، وتقوم وظيفة المبادئ على السماح للسامع باختيار هذه العلاقة أو هذه الخاصة مع إرشاده إلى الوجه الذي يمكن في ظله للعلاقات /ب/ و/or/ أن تتشابه أو تتطابق في أي ما صورة كانت.

الملف 8

وقد أعرضت في درس المجازات المتقدمة قضية علم مصطلح سأله أحد طلابي ما إذا كانا يستعملان الكلمة *métonymie* و *المجاز* في إشارته إلى المجازات المترتبة على الاستعارة *tropes* أو *métaphore*. فعندما ترید القول «س هو» بقولنا «س هو انرسل *Synecdoque*

(5) لفظ / متعلق /، تعريفاً له relationnes، يفيد أن اللفظ المتعلق أسبد إلى غير ما وضع له بدليل توليه المستد إليه الذي يتعلّق به أصلًا. فال المتعلّق لازم ذلك المستد إليه ويرتّله حالماً يحصل في الذهن.

ب يمكن أن يكون /ب/ و/ر/ مرتبطين بعلاقات مثل علاقة الكل والجزء وعلاقة الشكل والمضمون أو حتى علاقة الملبس واللامبس. وفي كل حالة، كما هو في الاستعارة الحقيقة، يستدعي المحتوى الدلالي للمصطلح /ب/ المحتوى الدلالي للمصطلح /ر/ عن طريق مبدأ محدد للترابط. وبما أن مبادىء الاستعارة تختلف فاني أميل إلى معاجلة الكناية والمجاز المرسل باعتبارهما حالات خاصة في الاستعارة، وإلى إضافة المبادىء التي تحكمها إلى قائمة حول المبادىء الاستعارية. فمثلاً يسعني أن أحيل إلى العرش البريطاني بقولي: «الناج»، وإلى السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة بقولي: «البيت الأبيض»، لأن استعمل مبادىء للترابط مترتبة؛ ومع ذلك - كما قلت - يبدو لي السؤال عن معرفة ما إذا كانت تلك حالات خاصة من الاستعارة شأنًا من شأنهن علم المصطلح. وإذا كان اتباع القاء يؤيدونبقاء على فصل مبادىء الاستعارة عن مبادىء الكناية والمجاز المرسل فإني لا أقدر على إثارة اعترافات من نوع خارق لعلم التصنيف.

وقد يمكن التساؤل، خارج هذه المبادئ الشامية، هل يوجد مبدأ تاسع؟ أيكنا، في بعض الحالات، عن طريق الرصف [وضع عبارة بجانب عبارة دون أداة وصل]، رصف /س/ و/ب/ في جملة الانطلاق، من خلق ترابط بين /ب/ وبين /ر/ التي لا تكون موجودة حتى ذلك الحين؟ تخيل أنها هنا أطروحة نظرية التفاعل. ومع هذا لم أصدق مثلاً مقنعاً ولا شرحاً نصف واضح حتى لما يجيء أن يعني الـ «تفاعل». ولتجرب أن نبني عدة أمثلة، وللتتحقق فرق ما بينها:

49. صوت جان

٦

50. برهان كنط الثاني لصالح الاستنتاج الصوري

هو **{ صاف ، شفاف ، حاد }**

تحتوي المجموعة الثانية بصورة ظاهرة معانٍ استعارية تختلف عن معانٍ الثلاثي الأول - تلك قيم لـ /ر/ تختلف [من جملة لجملة]. وفي الوسع التفكير أن مرد ذلك ليس إلى أن الفاظاً من /سـ/ مختلفة هي التي حددت حقل موضوعات /رـ/ المكنة والتي استلزمتها الفاظ /بـ/: قد سمعنا إضافة ذلك إلى واقع هو أن امتزاجات جديدة بين /سـ/ و/بـ/ هي التي أثمرت الجديد من /رـ/. لكن هذا الشرح يبدو لي قليل المعقولية. وهذا هو ما يشكل في نظري شرحاً أرجح قبولاً : عدنا مجموعة من الترابطات التي تصحب الفاظ /بـ/، «صف» و«شفاف» و«حاد»، وتستجيب لـ 1-7 من المبادئ. والفاظ /سـ/ المختلفة تحدد بصورة مختلفة قيم /رـ/ لأن عناصر /رـ/ التي توافق الأصوات تختلف عما ينسب منها إلى الاستنتاج الصوري . فلأنه هو الفاعل؟ .

وبما أن هذا المقطع يعرض شرحي حول المحمول *prédication* الاستعاري فإنه يصبح من الملائم دون شك مراجعة نقاطه الأساسية.

يكون عندنا متكلم وسامع لها معرفة لسانية وواقعية مشتركة تكفي لأن تسمح لها بتبادل أقوال حرفية. ثم ان الاستراتيجيات والمبادئ التابعة لها هي ضرورية فردياً وكافية اجتماعياً لتسمح للمتكلم والسامع بناء وفهم أقوال من صورة «س هو ب»، حيث يريد المتكلم ان يقول استعارة أن /س/ هو /ر/ (حيث ب ≠ ر).

بداءً يجب ان توجد استراتيجيات مشتركة على اساسها يستطيع السامع أن يعرف ان القول ليس عمولاً على المعنى الحرف. والاستراتيجيا الأشيء، إن لم تكن الفرد، تقوم على واقع هو ان القول خاطئ، بصورة مكتوفة فيها إذا حل على معناه الحرف.

وثانياً: يجب توفير مبادئ مشتركة تربط اللفظ /ب/ (سواء قيده معناه وشروط تتحقق أو دلالته الأصلية إذا وجد شيء منها) مع مجموعة من قيم /ر/ الممكنة. وصلب المسألة في نظرية الاستعارة هو في ثبات هذه المبادئ. فقد حاولت ان أبين عدة منها؛ ولكنني على قناعة بوجود مبادئ أخرى.

ثالثاً: يجب توفير استراتيجيات مشتركة تسمح للمتكلم والسامع، انتلاقاً من معرفتها للتعبير /س/ (سواء أكان القصد معنى العبارة او طبيعة المرجع او الاثنين معاً) بأن يحصر حقل القيم الممكنة من /ر/ في القيمة الحقيقة لـ /ر/ والمبدأ الأساسي لهذه المرحلة هو أن القيم الوحيدة الممكنة لـ /ر/ والمحددة لخصائص /س/ الممكنة يمكن أن تكون هي القيم الحقيقة لـ /ر/.

استعارة، تهكم، وأقسام الكلام غير المباشرة

وأريد،ختاماً، المقارنة بين المبادئ التي تحكم بالاستعارة وبين مبادئ التهكم وأقسام الكلام غير المباشرة. لنأخذ أولاً حالة من التهكم. ففترض أنك كسرت إيناء من الصين كنع هي قبمته لا تقدر بشمن. فما أقول تهكمك؟ «يا لها من ضربة معلم!»، وهنا، كما في الاستعارة، المعنى الذي قصد إليه المتكلم ومعنى الجملة متباينان. هنا هي المبادئ التي تسمح للسامع بأن يستنتج ان المتكلم كان يريد القول: «آية حادة!» بينما سمع الجملة «يا لها من ضربة معلم!» بصورة عامة حكم التهكم بالآية هي في أن التعبير، عمولاً على معناه الحرف، لا يتلاءم بصورة ظاهرة مع الموقف. وكما أنه غير مناسب وفق ما اتصفح، فإن السامع مضططر إلى إعادة تأويله ليصبح وافياً بالغرض. ويعتمد التأويل الأكثر طبيعية على أن تُنسب إلى التعبير المعنى المضاد لما يوحده شكله الحرف.

لا أريد القول بأن مسألة التهكم تختصر إلى هذا. فالثقافات وأشباه الثقافات تباين حول مدى ودرجة العلامات اللسانية وبرّ-اللسانية مما يتعلق بالأقوال الساخرة. فالانتكليزية تعرف، في الواقع الأمر، عدة إمارات للنبر غير مقدرة تصحب الأقوال التهكمية. ومع ذلك تجدر الملاحظة أن التهكم، كالاستعارة، لا يطلب التواضع على كونه برّ-اللسانية أو لا. فبمادى، التحدث والقواعد العامة المتحكمة بأقسام الكلام تكفي لإعطاء المبادئ الأساسية للتهكم.

لنأخذ الآن حالة لعمل كلامي غير مباشر. ففترض أني قلت ونحن في موقف مألف نجلس إلى مائدة: «أستطيع أن تُربّي الملحق؟» إنك ستؤول قولي في هذا الموقف بصورة عاديّة باعتباره يعني: «من فضلك، تأولني الملحق».

ويعني هذا أنك ستتحمل السؤال المتعلق باقتدارك على أنه طلب لتنفيذ عمل لأي مبادئ يستجيب لهذا الاستدلال؟ هناك فرق جذري بين أعمال الكلام غير المباشرة من جهة وبين التهكم والاستعارة من جهة ثانية. في العمل الكلامي غير المباشر يريد المتكلم أن يقول ما يقول، ولكنه يريد أن يقول عدا ذلك شيئاً آخر. يشكل معنى الجملة جزءاً من معنى القول ولا يستفاده. ولتبسيط الزائد (انظر لشرح أكثر تفصيلاً الفصل الثاني أعلاه) فإن المبادئ التي تأثر الاستدلال في هذه الحالة هي التالية. أولاً على السامع أن يملك طريقة ما تتيح له أن يعرف أن القول يحمل أن يكون ضرباً كلامياً غير مباشر. وهذه الركيزة تكفي في الواقع وفي هذا الإطار لأن يصبح سؤال يتناول اقتدار السامع عاطلاً من أي هدف تحدادي. والسامع إذاً سوق للبحث عن معنى مختلف. وفي محل الثاني، بما أن السامع يعرف قواعد صنوف الكلام، فإنه يعرف أن اقتداره على نقل الملحق بشكل شرعاً تمهدياً يخص ضرباً من الكلام [صيغ] لطلب وجه إليه. إن في وسعه إذاً الاستدلال على أن السؤال الذي تناول قدرته يشكل بصورة واقعية طلباً مُؤدياً لقيام بعمل. والصورة 2 [لاحقاً] توضح النقاط المشتركة والاختلافات ما بين أقوال حرفية واستعارية وتهكمية وأعمال كلامية غير مباشرة.

ويجب أن يكون في مكتتنا الجواب بلا تردد على مسألة أن نعرف: هل تتقبل جميع الأقوال الاستعارية جملة شرح حرفية؟ إن الجواب

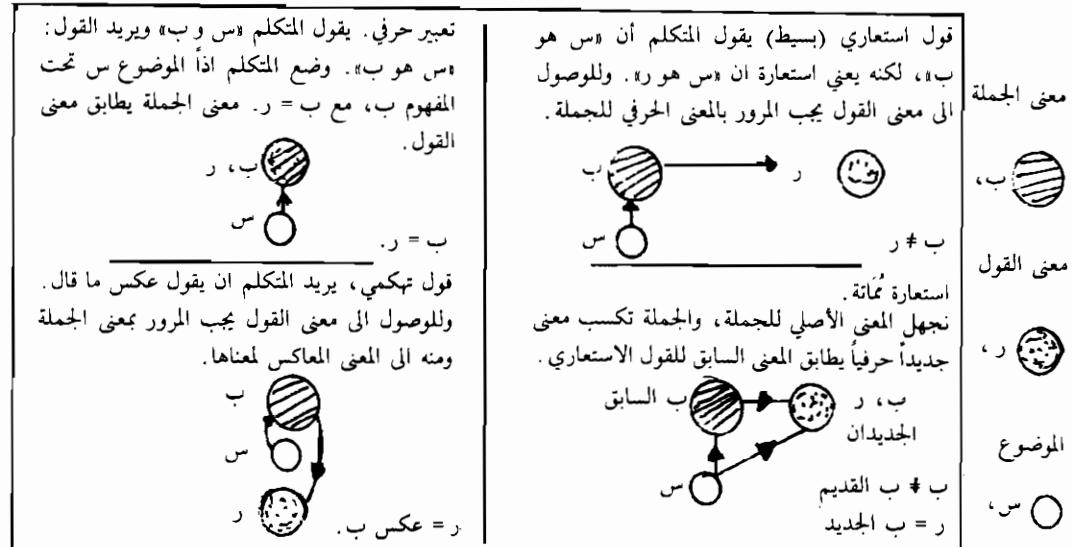
باتوبيه على شكل ما يصبح توكيدياً بصورة واضحة؛ وباتوبيه بشكل مختلف يصبح سلبياً بصورة واضحة. وإذا أُول السؤال على معنى. هل نستطيع ان نجد او نبتكر عبارة تعبر بدقة عن المعنى الاستعاري المقصود /ر/ ، مفهوماً مثل بواحث حقيقة /ر/ ، وتكون لكل تعبير مجازي يتألف من «س هو ب» التي تعني ان «س هوره؟ فان الجواب على هذا السؤال يعني أن يكون إيجابياً دون اي شك. وهذه نتيجة مبنية لبداً قابلية التعبير (انظر سورل، 1972) وهو أن كل معنى يمكن أن يجد له عبارة مطابقة في اللغة.

وإذا أُولنا السؤال على معنى «أكل لغة في الوجود مثداً بطرق دقيقة للتعبير حرفيأً عن كل ما نريد قوله في استعارة معلومة؟»، إن الجواب سلي بشكل ظاهر. فقد يحدث في احيان كثيرة ان تستعمل استعارة لأن تحديدًا لا توجد عبارة حرفة تعبر بدقة عما نريد قوله؛ وهذا هنا فإن القول بأن س هور في لفظ استعاري لا يُشير بالرضى . وكما تبين الصورة 2 ، فإنه يقال بأن س هور ذهاباً إلى معنى «س هو ب». وبهذا المعنى تعطي الاستعارات انطباعاً بأنها نوعاً ما تناوی الشرح متواه جوهرية. وهن كذلك من حيث إنه اذا لم نلجم إلى العبارة الاستعارية فإننا لن نجد توليد المحتوى الدلالي الطارئ على فهم مقول القائل.

إن خير ما تستطيعه جملة الشرح هو إعادة إنتاج أسباب الحقيقة للتعبير الاستعاري ، ولكن اللفظ الاستعاري لا يقتصر على التعبير عن أسباب الحقيقة. انه يعبر عن أسباب حقيقته بواسطة محتوى دلالي آخر عنده من أسباب الحقيقة غير ما عنده هو. وتعلق القدرة التعبيرية التي يبدو لنا أنها تميز الاستعارات الموقعة بamarin . على السامع أن يكتشف ما يريد المتكلم قوله - عليه ان يشارك في التواصل بنشاط لا يرقى إليه مثلك بسيط وغير فاعل - وعليه ان يصل إلى ذلك مارا بمحضه دلالي آخر له علاقة بالمحتوى المتداول . وتخيل ان هذا هو ما كان جونسون يريد قوله عندما كان يقول بأن الاستعارة تعطي فكريين في مقابل واحدة⁽⁶⁾.

(6) راجع بهذا الخصوص في هذا العدد «امير الكناية، تاسعاً - عبد القاهر الجرجاني، أمام قدامة بن جعفر». هذه الأفكار يعرفها العرب قبل القرن الرابع للهجرة.

الشكل 2. مقارنة بالرسم للعلاقات ما بين معنى الجملة ومعنى القول، حيث يكون معنى الجملة «س هو ب» ومعنى القول «س هو ر»، أي حيث يلفظ المتكلم جملة تعني حرفيًا أن الموضوع س يقع تحت مفهوم ب، ولكن حيث كان يريد بلطفه أن الموضوع س يقع تحت المفهوم ر.



قول استعاري (مفتوح). يقول المتكلم أن «س هو ب»، لكنه يعبر استعارة عن عدد غير محدود من المعاني، «س هو ر¹»، «س هو ر²»، الخ. وكما هو في الحال البسيطة يجب أن غير من المعنى الحرفي للجملة للوصول إلى معنى القول.



ب ≠ ر₁ أو ر₂ أو ر₃ أو ر₄.

عمل كلامي غير مباشر.

المتكلم يريد قوله ما قد قال. ولكنه يريد أن يقول أيضاً زيادة على ما قال. فمعنى القول يتضمن إذاً على معنى الجملة ولكن يتتجاوزه إلى سواه.



ب متضمن في ر، ولكن ب ≠ ر.